تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 88- سورة النساء | من الأية 551 إلى 651

عبدالرحمن العجلان

على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اقسم بالله اعوذ بالله من الشيطان بسم الله الرحمن الرحيم. فبما نقضه ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء وقولهم بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا. وبكفرهم وقولهم على مريم بهتان عظيما - 00:00:00

وقولهم اتان الايتان الكريمتان من سورة النساء اتى بعد قوله جل وعلا يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم مرحبا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا فقالوا وارنا الله جهره. فاخذته بالصاعقة بظلمهم. الايتين - 00:00:40

سجل وبين جل وعلا في الايتين السابقتين شيئا من عظائم اليهود وغطرستهم وعمادهم. وقال تعالى يسألك اهل اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء. فقد قالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهره. وهاتان الاثنتان - 00:01:20

ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الثالثة وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا. وقلنا لهم لا تعدوا في السبت فخالفوهما فهاتا الاثنتان هذه خمس فضائح من اعمال اليهود. وفي الايتين الاخيرتين - 00:02:10

عدد بعض الفضائح التي اقدموا عليها عنادا وكفرا وقال تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله. وقتلهم الانبياء بغير بحق هذه ثلاث وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله وعليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا. وبكفرهم وقولهم على مريم - 00:02:50

بهتانا عظيما. هذه خمس وخمس في الايتين السابقتين. وخمس فضائل في هاتين الايتين. فهم اهل العناد من القديم فبما نقضهم ميثاقهم بسبب الباهنة سببية يسميها رحمهم الله نقضهم ميثاقهم اخذ الله جل وعلا عليهم - 00:03:40

الميثاق في التوراة بان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبان يعملوا بالتوراة. فلم يعملوا. نقضوا ميثاق الذي اخذ عليهم وكفرهم بايات الله علامات وبراهين دالة على صدق رسل الله - 00:04:21

في صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين. فوروا بها عرض الحائط ولم يهتموا لها كفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق اقدموا على هذا الفعل المشين المخزي. الانبياء الذين يدعون الى الاستقامة والى الحق والى - 00:05:01

طاعة الله جل وعلا. والى الجنة يقدم الاشقياء على قتلهم. فقد قتلوا عددا من الانبياء لان الانبياء في بني اسرائيل كثير. والله جل وعلا عوض هذه الامة قبل انبياء بني اسرائيل لكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين عوضها - 00:05:31

بالعلماء من هذه الامة يقومون مقام الانبياء يدعون الى الله جل وعلى على بصيرة. على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني - 00:06:01

فهؤلاء اليهود اقدموا على قتل الانبياء وقتلوا عددا كثيرا منهم. وممن قتلوا زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام. وقتل الانبياء لا يكون بحق لانهم ما يمكن ان يستحق القتل نبي يأتيه الوحي من الله جل وعلا - 00:06:30

معصوم من الخطأ والزلل. فقتله جريمة شنيعة. وكما جاء في الحديث اعظم الناس عذابا يوم القيامة. من قتل نبيا او قتله نبي. لان من قتل نبي فقد تعدى وتجاوز الحد. ومن قتله نبي فهو مستحق للقتل. لان قتلا النبي لا يقدم - 00:07:00

على قتل الا من يستحق القتل ابي بن خلف قبحه الله توعد النبي صلى الله عليه وسلم في قتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله. وجاء متحصن بالحصون - 00:07:30

ما يرى منه شيء. يمكن ان يضرب منه. فتبين شيء بسيط من على رأسه فوجه النبي صلى الله عليه وسلم اليه ضربة يسيرة سهلة

فتدحده وسقط فقال ميت ميت. فقالوا له ما بك خلاف - 00:08:00
ضربة بسيطة يعني كقرصة بعوضة. قال وان كانت لانه توعدني بمكة انه قال يقتلني ان شاء الله وهو ما يقول الا الحق. فمات من هذه الظربة وهي بسيطة. وهو من اشقى عباد - 00:08:30
لا هو ممن اذى النبي صلى الله عليه وسلم اذى شديدا وقتلهم والانبياء بغير حق جريمة شنيعة عظيمة. وقولهم قلوبنا غلف. هذه جريمة اخرى. قولهم قلوبنا غلف جمع اغلف يعني مغطاة ما نسمع - 00:08:50
ما تقول فهم قالوا هذه المقالة مثل قال كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اليه وفي اذاننا وقر. فهم قالوا قلوبنا مغطاة ما تسمع ما تقول. ولا نعي - 00:09:30
فيما تقول لا تكثر القول. وقيل ان غلف جمع غلاف جمع اغلف. جمع غلاف يعني هي غلاف للعلم. ملأى من العلم ليس لنا حاجة فيما عندك. عندنا العلم بحذافيره. قلوبنا ملية بالعلم - 00:10:00
قولان للمفسرين رحمهم الله وكلاهما رد الله الله جل وعلا عليهم ذلك. بل طبع الله عليها بكفرهم رد على قولهم قلوبنا في ما تسمع ما تقول قال الله جل وعلا - 00:10:30
اليس هذا هو وانما الله جل وعلا طبع عليها بسبب كفرهم. فهو جل وعلا ما ظلمهم ولكن هم ظلموا انفسهم. وعلى القول قل الاخر يكون رد الله عليهم جل وعلا عكس ما قالوا. قلوبنا - 00:11:00
غلف للعلم اغلفة للعلم مغلفة ملأى بالعلم قال بل هي مطبوع عليها ما فيها شيء من العلم خالية من العلم. وما يدخلها علم. بل طبع الله عليها والطبع هو الخاتم. يعني مختوم عليها ما يدخل فيها شيء. بل طبع الله عليها بسبب كفرهم - 00:11:30
فهم كفروا بالله فطبع الله على قلوبهم. بل طمع الله عليها بكفر فلا يؤمنون الا قليلا. لا يؤمنون الا قليلا. يعني ايمانا قليل. او زمن يسير ثمان او قليل منهم اقوال للمفسرين رحمة الله عليهم وكلها ممكن ان تدل عليها - 00:12:00
اية الكريمة فلا يؤمنون الا قليلا يعني عندهم شيء من الايمان قليل وهو الايمان بالله نؤمن بالله لكن نكفر بمحمد. لان اليهود يزعمون انهم على التوحيد. وانهم يؤمنون بالله ويوحدونه - 00:12:40
لكن يقولون نكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم. فعندهم شيء من الايمان لكن ما ينفعهم او انهم يصدقون زمنا يسيرا لكن ما يستمرون على هذا لانهم يعرفون في الحقيقة صدق محمد صلى الله عليه وسلم. فهم لا يستمرون - 00:13:00
على تصديقهم. هذا الثاني الثالث فلا يؤمنون الا قليلا منهم. كعبد الله بن سلام ومن امن معه من احبار اليهود رضي الله عنه عبد الله ابن سلام والمؤمنين منهم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبدالله ابن سلام حبر من - 00:13:30
احبار اليهود يعني عالم من علمائهم رضي الله عنه. فجاء يتحرى وعرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعرف ان اوصافه مذكورة عندهم بالتوراة قد تنطبق على هذا الرجل على اول ما جاء الى المدينة وسأل النبي صلى الله عليه - 00:14:00
وسلم اسئلة فتبسط معه النبي صلى الله عليه وسلم كعادته عليه الصلاة والسلام مع كل تسائل ومع كل مسترشد صغيرا او كبيرا غنيا او فقيرا وجيها او وضيعا ما يحتقره - 00:14:30
واحد عليه الصلاة والسلام حتى انه سأل عن غلام يهودي كان يأتي حول النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له انه مريض. فقال هلم بنا لزيارته. شاب يهودي لا مركز له - 00:14:50
فلا قيمة له في المجتمع. مريض. وربما انه كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بعض الاذى ان طبيعة اليهود اذا حصل لهم ان يتمكنوا من الاذى قدر الامكان ولو بالدعاء - 00:15:10
مثل ما قال اليهودي السام عليك يا ابا القاسم يتظاهر كانه يقول السلام ويقول السام الذي هو الموت وهم لا يدخرون وسعا من الاذى. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول للصحابة هلموا بنا نزور هذا اليهود الذي فقدناه - 00:15:30
فوجده صلى الله عليه وسلم في مرض الموت. فعرظ عليه الاسلام فرفع اليهودي ارفعوا الى ابيه كالمستشير له فقال اعطى ابا القاسم قاطع ابا القاسم يعرف حقيقة نفسه ان طاعة - 00:15:50

القاسم خير له. والولد ميت. فشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي انقذه من النار بي. وقال للصحابة معه لما مات يحزوا اخاكم - 00:16:10

شهد ان لا اله الا الله ولم يعمل لانه على فراش الموت. فلما جاءه عبدالله بن سلام رضي الله عنه وارضاه سأل بعض الاسئلة ليتعرف فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم بالجواب الصحيح الذي لا شك فيه والرجل عالم يعرف فشهد ان لا اله - 00:16:30

الا الله وان محمدا رسول الله. رضي الله عنه. وقال يا رسول الله ان اليهود قوم اهل بهت وكذب وافتراء. فاخشى اذا علموا باسلامي ان يسبوني عندك. وربما وقع في نفسك شيء - 00:16:55

واحب ان تسألهم عني قبل ان يعلموا باسلامي. فجاء احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم ما تقولون في عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا عالمنا وابن عالمنا وخيرنا وابن خيرنا - 00:17:15

الفاضل يعرفونه انه لا هو مركز وله مكانة وعالم من علمائهم رضي الله عنه فقال ارأيتكم ان اسلم تسلمون قالوا حاشاه بعيد ان يسلم عبد الله ابن سلامة عالم من علماء اليهود ما يسلم - 00:17:35

فخرج رضي الله عنه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله. فقالوا هو شرنا وابن شرنا واخذوا يقفونه ويسبونه. فقال عبدالله بن سلامة رضي الله عنه الم اقل لك يا رسول الله - 00:17:55

لانه خشي اذا علموا باسلامه قبل ان يذكروا مكانته عند النبي صلى الله عليه وسلم ان يسبوا وربما دخل في نفس النبي صلى الله عليه وسلم شيء من هذا؟ وانه رجل فاضل رضي الله عنه وتحرى الصواب - 00:18:15

امن معه قلة يعدون على الاصابع المؤمنون من اليهود لما اشتملوا عليه من الحسد والكراهية والبغظ ما الا قلة مع انهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة. ويرون الايات الواضحة والبينة. وكما قال الله جل - 00:18:35

وعلى عنهم انهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم. ويروى ان عبد الله بن سلامة رضي الله عنه قال والله اني محمدا اكثر من معرفتي لابني. لان محمد عليه الصلاة والسلام اخبرني عنه ربي. واما ابني ما - 00:18:55

ما صنعت امه رضي الله عنه وارضاه وكان المفروض عقلا ان يكون المؤمنون الى اليهود اكثر من المؤمنين من النصارى. لان اليهود معايشين للنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة. ويرون - 00:19:15

ويرون العلامات الواضحة البينة والنصارى بعيدين. ومع ذلك اسلم من النصارى ممالك. وديار شاسعة ولم يسلم من اليهود الا افراد قلة. لما اشتملوا عليه من الحسد والكراهية والبغض فلا يؤمنون الا قليلا يعني ما امن منهم الا قليل. ولهذا جاء - 00:19:35

نفاق اهل المدينة اشد من نفاق غيرهم. لانه ما كان ينبغي ان ينافقوا وهم يشاهدون النبي صلى الله عليه وسلم ويشاهدون الايات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم عن الزانية لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من اهل المدينة - 00:20:05

وسعتهم. يعني مع شدة نفاقهم لو قسمت على سبعين لكفتهم. فالمؤمنون هنا من اليهود قلة فلا يؤمنون الا قليلا يعني قليل منهم من يؤمن وبكفرهم بالله وبالايات وجحدهم وقول على مريم بهتانا عظيما. قالوا على مريم الصديقة - 00:20:25

رضي الله عنها وامه صديقة كانا يأكلان الطعام. ان شاء الله نشأة حسنة وحماها لما يريده جل وعلا فيها. فقالوا عنها والعياذ بالله انها زانية. وقالوا ان عيسى ابن زنا. عليه الصلاة والسلام. وقالوا زانية وهي حائض - 00:21:04

وولد عيسى من حمل بحيض. ليجمعوا في زعمهم الرذائل والقبائح. على انفسهم والله وجل وعلا برأها وامه صديقة والصديقة ما يمكن ان يحصل منها هذا نظائر المنافقون في المدينة رموا الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها - 00:21:34

في المؤمنين بالزنا. وقلوبهم متشابهة. المنافقون واليهود ما وجدوا الا صديقة بنت صديق. لكنهم حسدوها لما حظيت عند النبي صلى الله عليه وسلم ورموها بالزنا فبرأها الله جل وعلا من فوق سبع سماوات في قوله تعالى ان الذين - 00:22:04

جاؤوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم. لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم. والذي يتولى كبره منهم له عذاب عظيم. عبد الله ابن ابي ابن سلول قبحه الله - 00:22:34

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما. بهتان. والبهتان اشد انواع الكذب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الغيبة

قال ذكرك اخاك بما يكره قال ارأيت يا رسول الله ان كان في اخي ما اقول؟ يعني وصفته بصفة ذميمة هي فيه. قال ان كان في - 00:22:54

فيهما تقول فقد اغتبته. وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته. اشد من الغيبة واشد من كذب اشد انواع الكذب. وقولهم على مريم بهتانا والبهتان الكذب. ثم وصف هذا البهتان بان - 00:23:24

انه بهتان عظيم. ما يتجرأ عليه الا شقي. ما يتجرأ عليه الا حسود. ما يتجرأ عليه الا حقود. صديقة رضي الله عنها مبرأة مطهرة. خلصت نفسها للعبادة لعبادة بالله جل وعلا واكرمها الله جل وعلا بعيسى ابن مريم. ونسبه اليها - 00:23:44

لانها نسبة شريفة ومعجزة من معجزات ربنا جل وعلا لعباده هذا هو دلالة على كمال قدرته. وكرامة لها رضي الله عنها. بان نسبه اليها ولم ينسبه الى ابائها او الى ابيه ابراهيم او الى احد من ابائها الاقدمين وانما - 00:24:14

عليه الصلاة والسلام الى امه مريم فقال عيسى ابن مريم انه جاء من غير اب بقدرة الله الله تبارك وتعالى ولهذا سمى الله جل وعلا هذا البهتان بانه بهتان عظيم - 00:24:44

والناس في مريم وعيسى عليهم الصلاة والسلام ثلاث طوائف اليهود اخزاهم الله قالوا عنه انه ابن زنا وقذفوه بما هو بريء منه هو وامه. والنصارى اخزاهم الله قالوا هو ابن الله - 00:25:04

وثالث ثالثة تعالى الله عليه ان يكون له ولد. فهو الذي لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا احد سبحانه رفعوه عن منزلته التي انزله الله جل وعلا. والمسلمون قالوا - 00:25:34

وعبدالله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه. عبد لا يعبد ورسول لا يكذب. ولذا قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم. لا تمدحوني فوق منزلتي. لا ترفعوني فوق منزلتي. لا تطروني كما اطرت النصارى - 00:25:54

ابن مريم انما انا عبد. فقولوا عبد الله ورسوله. فهو عبد عليه الصلاة والسلام لا يعبد ورسول لا يكذب. يأتي بالوحي من الله جل وعلا. وهو المعصوم من الزلل وهؤلاء اليهود قبحهم الله يقول الله جل وعلا عنهم وبكفرهم وقولهم - 00:26:24

على مريم مهتانا عظيما. نسبوا اليها ما هي بريئة منه رضي الله عنها وسيأتي الكلام على بقية الفضائح المذكورة في هذه الايات في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه - 00:26:54

وما صلبوه ولكن شبه لهم الاية. نعم. وهذا من الذنوب التي ارتكبوها مما اوجب لعنتهم وطردهم وابعادهم عن الهدى. وهو نقضهم المواثيق والعهود. التي اخذت عليهم وكفرهم بايات الله اي حججه وبراهينه. والمعجزات التي شاهدوها على يد الانبياء عليهم السلام - 00:27:24

قد اخذ عليهم الميثاق بان يبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة. وان يؤمنوا وبالقرآن الكريم. والتوراة والانجيل والقرآن كلها كتب الله جل على انزلها على رسله. والتوراة نزلت على موسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام - 00:27:54

والانجيل على عيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام. والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فهي كتب الله وكلامه جل وعلا. لكن الله جل وعلا لم يرد حفظ التوراة والانجيل - 00:28:24

ووكل حفظهما الى علماء اليهود وعلماء النصارى كما قال الله جل وعلا ما استحفظوا من كتاب الله ولم يحفظوا اما القرآن العظيم لما اراد الله جل وعلا بقائه الى ان يرث الله الارض ومن عليها فقد تكفل الله جل - 00:28:44

وعلا بحفظه لم يكل حفظه الى غيره بل قال جل وعلا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وحفظه الله جل وعلا من الزيادة والنقص والتحريف فهو والحمد لله بايدينا الان كما نزل على - 00:29:09

صلى الله عليه وسلم ما اراد ظالم او معتدل ان يحرف او يزيد فيه الا فضحه الله جل وعلا واظهر خزيه وتعدي ورد الباطل الذي جاء به وبما نقظهم من ساقهم اخذ عليهم الميثاق بان يبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم. لانها مبينة في - 00:29:33

واضحة جلية ما يشركه فيها غيره. عليه الصلاة والسلام نعم وقتلهم الانبياء بغير حق. وذلك لكثرة اجرامهم واجترائهم على انبياء الله. فانهم قتلوا جما غفيرا من الانبياء عليهم السلام قتلوا كثيرا من الانبياء. نعم. وقولهم قلوبنا غلت قال ابن عباس - 00:30:06

اي في غطاء وهذا كقول المشركين. وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الاية. وقيل معناه انهم ادعوا ان قلوبهم غلف للعالم اوعية اهل العلم قالوا قلوبنا غلف للعلم يعني اوعية للعلم وهم فعلا معهم علم - 00:30:34

لكنه لم يعملوا به. ولهذا غضب الله جل وعلا عليهم اشد من النصارى. فوصف الله جل وعلا انه وصار بانهم ضالون. ووصف اليهود بانهم مغضوب عليهم ولهذا قال العلماء رحمهم الله من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود - 00:30:57

ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى وامرنا الله جل وعلا بان نسأله ان يجنبنا طريق اليهود وطريق النصارى في فاتحة الكتاب التي تقرأ في كل ركعة من كل صلاة - 00:31:25

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وهم اليهود ولا الضالين وهم النصارى. فاليهود مغضوب عليهم لان عندهم علم لم يعملوا كما قال الله جل وعلا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم عندهم علم - 00:31:47

والنصارى يعبدون الله على جهل وضلال فهم ضالون وقولهم قلوبنا غلف قال ابن عباس اي في غطاء وهذا كقول المشركين وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الاية وقيل معناه انهم ادعوا ان قلوبهم غلف للعلم اي اوعية للعلم قد حوته وحصلته. قال الله تعالى - 00:32:14

بل طبع الله عليها بكفرهم فعلى القول الاول كانهم يعتذرون اليه بان قلوبهم لا تعي ما يقول لانها في غلف وفي قال الله بل هي مطبوع عليها بكفرهم وعلى القول الثاني - 00:32:44

عكس علم ما ادعوه من كل وجه. وقد تقدم الكلام على مثل الله عليهم ذلك لانهم قالوا قلوبنا غلف للعلم اغلف اهل العلم مليئة بالعلم ود الله جل وعلا على عليهم ذلك بقوله بل الواقع والحقيقة ان الله طبع عليها ما فيها شيء من - 00:33:04

علمي اطلاقا نعم فلا يؤمنون الا قليلا اي تمرنت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الايمان وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما. قال ابن عباس يعني انهم رموها بالزنا وقال السدي والظاهر من الاية انهم رموها وابنها بالعظائم فجعلوها زانية - 00:33:27

قد حملت بولدها من ذلك زاد بعضهم وهي حائض فعليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة والله اعلم. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:33:53